عضو أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالقاهرة

الأنماط التركيبية للأمر والنهى فى سورة النساء

دراسة نحوية

و كتور

أسامة عطية عثمان

قسم اللغة العربية - كلية التربية جامعة الملك فيصل

كلية التربية بالوادى الجديد - جامعة أسيوط

الثقافة والتنمية العدد السابع والعشرون أكتوبر ٢٠٠٨م

obeikandl.com

obeikandl.com

الأنماط التركيبية للأمر والنهى فى سورة النساء
دراسة نحوية

د / أسامة عطية عثمان
أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية - كلية التربية جامعة الملك فيصل
وعضو هيئة تدريس بتربية الزاوى جامعة أسيوط

تمهيد:

الحمد الله الذي أنزل القرآن الكريم ، وتكفل بحفظه إلى يوم الدين ، وتحدى به الإنس والجن أجمعين قال تعالى: "قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ".(الإسراء الآية: (٨٨))

من أجل ذلك جاءت آيات القرآن الكريم وسوره في فصاحة وبلاغة ونظم وتركيب تعلن تحدياً مستمراً ما بقيت الحياة من خلال ما اشتملت عليه من معان وأخبار وأحكام . لهذا تعددت المباحث التي تدور حول هذا النص المعجز .

فهناك دراسات طولية تتناول ظاهرة نحوية في جميع آياته وسوره ، وهناك دراسات تقف عند جزء من أجزائه ، أو سورة من سوره أو بعض من آياته .

ولقد جاءت سورة النساء في "ست وسبعين ومائة آية " تالية لسورتي البقرة وآل عمران بعد فاتحة الكتاب لتشير تسميتها إلى ما تمثله المرأة من دور في المجتمع بعد أن كانت شيئاً مهملاً قبل نزوله، وكان ما حوته هذه السورة الكريمة من أنماط الأمر والنهى دافعاً لهذا البحث حيث حظيت بالأنماط التركيبية التي ترتبط بالسياق فيما يمثله كل منهما .

إن التوجيه القرآني بأوامره ونواهيه في سورة النساء يحمل دلالات متنوعة يكشفها النمط التركيبي لكل منها وهذا ما تحاول هذه الدارسة إبرازه متتبعة المنهج التحليلي . والأمر والنهى يمثلان جانبين من جوانب الطلب الذي تتعدد أنماطه ، وهناك دراسات تناولت الجملة الطلبية في إبداعات شعرية أو في كتاب سيبويه على نحو ما فعلت خديجة عبد الله سرور الضبان في دراساتها : الجملة الطلبية في الكتاب لسيبويه

وفى شرح السيرافى ونالت بها درجة الماجستير في جامعة القاهرة عام ١٩٨٤م وكما فعل محمود عبد العزيز في دراسته: الجملة الطلبية في شعر البارودي ونال بها درجة الماجستير في جامعة القاهرة عام ١٩٨٥م .

أما هذه الدراسة فقد اتجهت إلى النص القرآني المعجز لتقف عند أنماط الأمر والنهى في سورة النساء على أساس أنهما يعدان الأساس السليم نحو الالتزام بأوامر السماء أو الكف عما نهت عنه، ليستقيم شأن مجتمع يتلقى أفراده الأوامر والنواهي من رب السماء ليعطى كل ذي حق حقه رجلاً كان أو امرأة .

وجاءت هذه الدراسة في مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة تضمنت أهم النتائج وقدمت بعض المقترحات ثم مصادر البحث ومراجعه. التمهيد وتناول تعدد أنماط الجملة الطلبية في سورة النساء .

الفصل الأول: أنماط الأمر في سورة النساء وجاء في خمسة محاور

الأول : أنماط فعل الأمر

الثاني : لام الأمر المقترنة بالمضارع

الثالث : اسم فعل الأمر

الرابع : المصدر النائب عن فعل الأمر

الخامس : ورود الإخبار بمعنى الأمر.

أما الفصل الثاني: فتناول أنماط النهى في سورة النساء وجاء في محورين :

الأول : المضارع المقترن بلا الناهية الجازمة .

الثاني :ورود الإخبار بمعني النهي .

والله أسأله التوفيق ، فإن تحقق فهذا هدفي ، وإن كانت الأخرى فحسبي أجر المجتهد ، والله حسبي ونعم الوكيل عليه توكلت واليه أنيب .

التمهيد

" تعدد الأنماط الطلبية في سورة النساء "

تتعدد أنماط الطلب في سورة النساء ما بين الأمر والنهي والاستفهام والنداء والدعاء والتمني والترجي والعرض والتحضيض بما يتفق والسياق الوارد فيه كل نمط بما يسهم في إبراز المعنى المقصود .

ولقد درس البلاغيون الطلب دراسة تقوم على معنى التركيب لإبراز أنواعه وبيان تراكيب كل نوع ، والمعاني التي تؤديها تلك التراكيب ، أما النحاة فقد درسوا الإنشاء غير الطلبي في أبواب خاصة مثل أفعال المقاربة والتعجب والمدح ... وغير ذلك .

كذلك لم يدرس النحاة الإنشاء الطلبى في باب واحد ، بل تفرقت دراسته في ثنايا كتب النحو فهناك باب للنداء وآخر للاستفهام وثالث للأمر ... وهكذا .

يقول القزوينى : "إن الإنشاء ضربان طلبي وغير طلبي ، والطلب يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل"[١].

وإذا كان سيبويه قد تحدث عن جميع أنواع الطلب في أبواب متفرقة "كالاستفهام [٢]،والأمر والنهي [٣]،والدعاء [٤] والنداء" [٥]فانه لم يبرز وجود علاقة تربط هذه الأنواع ، ويرجع السبب . فيما نرى . إلى أن النظرة لم تكن متجهه لتقسيم الجملة إلى خبر وإنشاء بل كانت تتجه إلى تقسيم الكلم إلى اسم وفعل وحرف حيث البحث عن العلامة الإعرابية من خلال العامل .

لهذا نؤكد اهتمام البلاغيين بالطلب بسبب انصراف النحاة إلى فكرة العمل والعامل ثم إلى تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية ، على حين قسم البلاغيون الجملة إلى قسمين الخبر والطلب ، ثم استعمل الإنشاء محل الطلب ، ويرجع اهتمام البلاغيين لدراسة الإنشاء الطلبى أنه مؤسس على علم المعاني الذي يجعله من الأساليب الغنية الثرية بالعطاء والتأثير .

فإذا كان علم النحو يدرس أحوال الكلمات في تركيبها الوظيفي فإن علم المعاني يعنى بعلاقة التركيب بمقتضى الحال ، وندعو إلى دراسة أبواب الطلب في باب نحوى

واحد ليأخذ مكانه من العناية والاهتمام يقول د/ تمام حسان: "إن النحو العربي أحوج ما يكون إلى أن يدعى لنفسه هذا التقسيم من أقسام البلاغة الذي يسمى علم المعاني حتى إنه ليحسن في رأى أن يكون علم المعاني قمة الدراسات النحوية أو فلسفتها إن صح هذا التعبير"(٦) حينذاك سنجد أن معاني النحو التي دعا إليها عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز قد تحققت لتدفع بالمعنى بدلاً من الدوران حول العلامة الإعرابية .

ولقد حظيت سورة النساء بالأنماط التركيبية المتعددة للجملة الطلبية حيث نجد الآية الواحدة وفيها:النداء والنهى والاستفهام قال تعالى:"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا "؟(٧)

واستخدمت الآيات الأنماط المتعددة لكل باب من أبواب الطلب ففي الاستفهام نجد (الهمزة و من و كيف و ما) كما حُذِفَ ألفها لسبقها بحرف الجر اللام "لم" .

وجاءت أنماط الاستفهام بالهمزة متعددة في سورة النساء حيث يليها الفعل المثبت أو الفعل المنفى أو الاسم قال سيبويه: "وحروف الاستفهام لا يليها إلا الفعل إلا أنهم قد توسعوا فيها فابتدأوا بعدها الأسماء" (٨) فحروف الاستفهام "يقبح أن يصير بعدها الاسم إذا كان الفعل بعد الاسم "(٩) ولقد جاءت أنماط الاستفهام بالهمزة في سورة النساء على النحو التالي: النمط الأول : الهمزة + الاسم

قال تعالى : "... أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ... " (١٠).

النمط الثاني : الهمزة + الفاء + لا النافية + المضارع

قال تعالى : "... أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ... "؟ (١١) .

النمط الثالث : الهمزة + لم + الناسخ المجزوم

قال تعالى: "... أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ... "؟(١٢) .

النمط الرابع : الهمزة + لم + الفعل المجزوم غير الناسخ

قال تعالى:"أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ "؟(١٣).

النمط الخامس : الهمزة + الفعل المثبت

قال تعالى: "... أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ..."؟(١٤).

وإذا كان الفعل في الآية الكريمة (تأخذونه) مثبتاً فإن دلالة الاستفهام تحمل التوبيخ والإنكار لمن يقوم بهذا الأخذ .

وما نهدف إليه تعدد تلك الأنماط في سورة النساء وليس من أهداف هذه الدراسة الجانب الإحصائي بل نشير إلى أن الهمزة التي تلتها (لم) فالمضارع المجزوم قد تكررت كثيرًا في آيات سورة النساء ، كما تكرر استخدام (من) أداة الاستفهام الدالة على العاقل والتي تقع "مبتدأ" وقد تنوع الخبر حيث جاء اسماً مفرداً في قوله تعالى: "...وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا "؟(١٥)"وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا "؟(١٦)"وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ "؟(١٧)كما جاء جملة فعلية في قوله تعالى: "فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا "؟(١٨)

وتعدد ورود استخدام "كيف" في كثير من آيات سورة النساء حيث تعددت الأوجه الإعرابية لها بحسب النمط المستخدمة فيه قال تعالى: "فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا "؟(١٩) .

فيجوز أن تكون (كيف) في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف أي فكيف حالهم أو صنيعهم"؟ أو تكون (كيف) في محل نصب بفعل محذوف أي فكيف تكونون أو تصنعون؟ ويجرى فيها الوجهان النصب على التشبيه بالحال كما هو مذهب سيبويه أو على التشبيه بالظرفية كما هو مذهب الأخفش(٢٠)

وفى قوله تعالى: "انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا"(٢١) ففي كيف وجهان عند صاحب المحرر الوجيز الأول : يصح أن تكون في موضع نصب بـ(يفترون) والثاني: أن تكون" كيف" مبتدأ والجملة من قولة (يفترون) الخبر. وهذا فاسد لأن (كيف) لا ترفع بالابتداء وعلى تقدير ذلك فأين الرابط بينها وبين الجملة الواقعة خبراً عنها؟ ولم تكن نفس المعنى حتى تستغني عن الرابط"(٢٢).

وفى قولـه تعـالى : " فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا "(٢٣). وموضع "كيف" نصب بفعل تقديره: فكيف تراهم؟ ونحوه ، ويصح أن يكون موضعها رفعا ، تقديره : فكيف صنيعهم ؟(٢٤).

وفى قوله تعالى : " وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ "(٢٥) تكون "كيف" اسم استفهام في محل نصب حال ...

أما "النداء" فقد جاء بـ (يا) قال السيوطي : " ولا ينادي اسم الله عز وجل إلا بها(٢٦)وقد جاءت الآية الأولى من سورة النساء موجهة الخطاب لجميع الناس في قوله تعالى: " يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً "(٢٧)، وفي قوله تعالى: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ "(٢٨)، وفى قوله تعالى: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ "(٢٩).

وجاء النداء وقد حذفت أداته في توجيه الخطاب للناس أجمعين في قوله تعالى:"إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾"(٣٠). فحذف أداة النداء ومخاطبة الحاضرين من العرب حين نزول الآية أو السامعين لها في كل زمان ومكان يدل علي الوعيد قال ابن عطية :"تحتمل ألفاظ الآية أن تكون وعيدًا لجميع بني آدم"(٣١)

وسواء ذكرت أداة النداء أو حذفت فإن دلالة التنبيه واضحة حيث يأتي هذا التنبيه أمرًا من رب السماء "اتَّقُوا رَبَّكُمْ" "فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ" أي تقرير حقيقة "قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ" أو بيان قدرة العلى القدير سبحانه من خلال أسلوب شرط واضح الدلالة "إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ" وكذلك جاء توجيه الخطاب للمؤمنين في كثير من آيات سورة النساء ومن ذلك قوله سبحانه"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا "(٣٢)، وقوله تعالى: "ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ "(٣٣)،"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ "(٣٤)وما يأتي بعد النداء من النهى يمثل دلالة | "يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ..."(٣٥) وفى الخطاب لليهود والنصارى استخدم النص القرآني النداء موجهاً إليهم فقال سبحانه: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا "(٣٦).

وهكذا جاء النداء في سورة النساء مستخدماً "يا" أداة ، كما جاء أسلوب النداء في القرآن حيث لم يقع النداء في القرآن إلا بها وقد وجه النداء للناس عامة أو للمؤمنين أو لأهل الكتاب وحين حذف أداة النداء يكون ما يختبئ من وراء الحذف دلالة لا تخفى تفهم من خلال السياق الوارد فيه هذا النمط التركيبي .

أما استخدام الآيات لـ (ما) الاستفهامية فجاءت بالألف في قوله تعالى :" وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ"؟(٣٧)، وفى قوله " فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٣٨) ونلاحظ سبق (ما) الاستفهامية بالواو في الآية الأولى وبالفاء في الآية الثانية.

وقد سبقت بالواو أيضاً في قوله تعالى:"وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ (٣٩) ولقد رفعت (ما) بالابتداء و(ذا) صلة و(عليهم) خبر الابتداء التقدير وأي شيء عليهم؟ ويصح أن تكون (ما) اسما بانفرادها مبتدأ و(ذا) بمعنى الذي، وخبر (أما) جواب (لو) في قوله (ماذا) فهو جواب مقدم(٤٠).

وفى قوله تعالى:"مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ "(٤١)(ما) استفهامية في محل نصب بـ (يفعل)وقدم لكونه له صدر الكلام(٤٢)كما أن الاستفهام في قوله تعالى"فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا "؟(٤٣) توبيخ عن علة الجهل وقلة الفهم ، واستخدمت سورة النساء (ما) وقد سبقت بحرف الجر اللام فحذف ألفها قال تعالى: "لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ"؟(٤٤) وكذلك في قوله تعالي : "قالوا فيم كنتم .."(٤٥) يقول سيبويه: وأما قولهم: "علامه وفيمه وليمه ولمه وحتامه فالهاء في هذه الحروف أجود عند الوقف لأنك لو حذفت الألف من (ما) فصار آخره كآخر (ارمه) و(اغزه)"(٤٦) .

على أن سورة النساء قد جاء فيها من أنماط الجملة الطلبية " الدعاء " الذي يجرى مجرى الأمر والنهى ، وعد النحاة النداء والدعاء شيئاً واحداً فدخلوا في خلاف طويل حول لفظ اللهم وأخذوا يجرونه مجرى الأمر والنهى في المعنى(٤٧)

ولا نهدف إلا للتأكيد على أن الدعاء يحتاج إلى دراسة تبرز بابه وتقف على دلالاته وصيغه السماعي منها والقياسي لأن الدعاء يرتبط بالسياق الوارد فيه ودلالاته تستنبط

من خلال ألفاظه الواردة على لسان من يتوجهون به ففي سورة النساء "... وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا "(٤٨).

أما التمني فاللفظ الموضوع له " ليت " حيث نجده في باب الحروف الناسخة فلم يفرد لليت باب مستقل وحرف ليت للتمني بإجماع حيث يكون دخوله لتوكيد رغبة المتكلم في تحقيق شئ يتمناه(٤٩).

ولا شك أن التركيب وما يحمله من سياق وقرائن يكشف عن التفاوت في مدى إمكان تحقق هذا الشئ الذي قد يكون حدوثه مستحيلاً أو يمكن تحققه مع العناية الشديدة به ولقد ورد حرف (ليت) في سورة النساء متصلاً به نون الوقاية "... يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا "(٥٠)وقد جاء اتصال النون بليت في كثير من آيات القرآن الكريم(٥١).

و(لو) فيها معنى التمني كما قال سيبويه(٥٢) ولقد تعدد ورود (لو) في سورة النساء حاملة هذا المعنى ومن ذلك قوله تعالى :" يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ..."(٥٣) واستخدام الفعل (يود) بما يحمل من دلالة التمني مع (لو) يبرز ما يحمله التركيب من مضمون سواء جاء بعد (لو) مضارع أو حرف ناسخ أو فعل ناسخ قال سبحانه :" أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ "(٥٤)علي أن لو قد تستعمل بمعني "إن" للاستقبال فيحصل فيها التمني كما ذهب ابن يعيش (٥٥)

وما نهدف إليه بيان أن التمني قد جاء في تراكيب سورة النساء سواء بليت أو بلو وهناك أدوات أخرى مثل (لعل) و(هل) ولم تأت آيات في سورة النساء مستخدمة لأي منهما وإذا كان التمني في المستحيل والممكن فإن الترجي لا يكون إلا في الممكن حيث يتوصل إليه بما يفيد ترجي وقوع الفعل ، واللفظ الذي يدل على الرجاء والأمل هو " عسى" وإذا كان البصريون والكوفيون قد اختلفوا حول فعليتها أو حرفيتها(٥٦) فإن ما يعنينا استخدام آيات سورة النساء لها مقترنًا خبرها بأن حيث وضوح دلالة الترجي ومن ذلك قوله تعالى : " فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا "(٥٧) وقوله جل شأنه "فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا "(٥٨)وكما تكون

عسى ناقصة كما في الآية الأولى تكون تامة تكتفي بمرفوعها ويكون فاعلاً لها كما في الآية الثانية حيث استغنت (عسى) عن تقدير "خبر" مكتفية بفاعلها .

وما نهدف إلى التأكيد عليه أن سورة النساء قد تمثلت في آياتها الجملة الطلبية بجميع أنواعها من الاستفهام والنداء والدعاء والتمني والترجي وكذلك العرض والتحضيض(٥٩)سواء بالحروف الدالة على ذلك أو من خلال سياق الآيات وما يمكن استنباطه من المعاني ومن ذلك استخدام (لولا) في قوله تعالى: "وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ "(٦٠). أي هلا أخرت فرض القتال مدة متأخرة عن الوقت الحاضر فـ (لولا) هنا تحضيضية (٦١). وقد استخدم النص القرآني الفعل (حرض) حثاً وتحضيضاً في قوله تعالى الذي وجهه إلى رسوله صلى الله عليه وسلم حيث إن هناك نوعًا من التحضيض بغير أداة يفهم من السياق قال تعالى"فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ..."(٦٢).

وإذا كانت سورة النساء قد ذكرت آياتها أنماط الجملة الطلبية فإلى أي مدى كانت أساليب الأوامر والنواهي مبرزة لما يأمر به رب العباد التزاماً وما ينهى عنه كفا..؟ هذا ما تبرزه الصفحات التالية حيث الفصل الأول يقف محللاً أنماط الأمر في سورة النساء على النحو التالي...

الفصل الأول

أنماط الأمر في سورة النساء

وقف النحاة مواقف متباينة من الفعل في العربية ، فإذا كان البصريون يرون أن صيغ الفعل ثلاث هي الماضي والمضارع والأمر فإن الكوفيين يرون أن صيغة الأمر (افعل) ليست مستقلة في ذاتها بل إن صيغته "من لفظ المضارع ينزع منه حرف المضارعة"(٦٣).

كذلك حدث خلاف حول بناء فعل الأمر وإعرابه، فالبصريون يرون الأمر مبنياً على السكون على الأصل ولو كان معرباً لجزم ولا وجه لجزمه حيث لا مجزوم دون جازم ، على حين يرى الكوفيون إعراب الأمر بالجزم وساقوا أدلة متعددة لتأكيد ما ذهبوا إليه..." ففي شرح المفصل قال صاحب الكتاب : " وهومبني علي الوقف عند أصحابنا البصريين ،وقال الكوفيون هو مجزوم باللام مضمره ،وأخذ يفصل ابن يعيش كيف أن فعل الأمر علي ضربين مبني ومعرب " (٦٤).

ولقد ترتب على خلاف النحاة حول بناء فعل الأمر وإعرابه أن وجدنا عالماً كجلال الدين السيوطي يضطرب موقفه في كتابيه ففي همع الهوامع يقول: "والأمر مقتطع من المضارع " (٦٥).

على حين يقول في الأشباه والنظائر: "الأمر صيغة مرتجلة على الأصح لا منقطع من المضارع(٦٦) .

وإذا كان اضطراب عالم كالسيوطي يبرز صورة لما آل إليه الخلاف حول بناء فعل الأمر وإعرابه فإن هذا البحث لا يهدف إلى عرض مثل هذه الخلافات إنما هدفه إبراز الأنماط التركيبية التي وردت في سورة النساء على صيغ الأمر وفعل الأمر الذي جاء عند العرب بهيئته (افعل) يعرف بشيئين كما قال ابن هشام : " وعلامة الأمر مجموع شيئين لابد منهما ،أحدهما : أن يدل علي الطلب ، والثاني : أن يقبل ياء المخاطبة(٦٧) كقوله تعالي : "فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّى عَيْنًا "(٦٨).

ولقد اتفق النحاة على أن الأمر يتم بعدة صيغ نحو افعل ولتفعل واسم فعل الأمر والمصدر النائب عن فعل الأمر كما أن هناك أساليب تدل على الأمر وإن لم تأت على هذه الصيغ إنما يبرزها السياق.

ولقد تعددت أنماط الأمر في سورة النساء مشتملة على صيغ الأمر كما قال بها النحاة من جانب كذلك جاءت أساليب تدل على الأمر و إ ن لم تكن على صيغه من جانب ثان على النحو التالي :

المحور الأول : صيغ أنماط الأمر :

الصيغة الأولى: (افعل) ولقد جاءت على أنماط متعددة تتمثل فيما يلي:

النمط الأول: فعل الأمر وفاعله واو الجماعة .

وردت تلك الصيغة في آيات تلك السورة ولقد تعددت دلالاتها حسب سياقاتها فإذا نظرنا إلى الآيات الست الأولى نجد تلك الصيغة ترد اثنتي عشرة مرة ففي الآية الأولى جاءت مرتين " اتَّقُواْ رَبَّكُمُ... وَاتَّقُواْ اللَّهَ..."

وفى الآيتين الثانية والثالثة وردت مرة واحدة في كل من "وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ"، "فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء" ووردت ست مرات في الآيتين الخامسة والسادسة في كل ثلاثا "وَارْزُقُوهُم فيها.. وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا"، "وَابْتَلُواْ.. فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ.. فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ"(٦٩).

ولقد تتابعت تلك الصيغة بما يؤكد أوامر الله تعالى للرجال تجاه النساء و اليتامى حيث تتعدد الأغراض التي يمكن استنباطها من خلال سياق التراكيب ذاتها، فعلى نحو ما نجد التهديد والترهيب من عاقبة الظلم في قوله تعالى: "وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ "(٧٠)، وقوله: "وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً "(٧١)نجد التشريع في قوله: "فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً.."(٧٢).

كذلك أباح التشريع السماوي من خلال نمط الأمر الوارد في سورة النساء موجها للجماعة التيمم حال عدم وجود الماء كما أظهر كيفية ذلك التيمم في قوله تعالى: "وَإِن

كُنتُم مَّرضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا غَفُورًا "(٧٣).

كما أمر التشريع بطاعة الله وطاعة الرسول وأولى الأمر باستخدام صيغة الأمر افعل متصلاً بها الفاعل " واو الجماعة في قوله سبحانه الذي وجهه إلى المؤمنين "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ "(٧٤).

كذلك أمر الله جل شأنه بالإيمان بالله ورسوله وبما أنزل من كتب سماوية، قال تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ "(٧٥).

وفي مجال الأسرة المسلمة حرص القرآن على السمو بها فجاء بتوجيه للرجال في كيفية التعامل مع النساء بما يكفل الاستقامة قال تعالى:"وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ "(٧٦).

ويأتي النمط التركيبي باستخدام فعل الأمر متصلاً به واو الجماعة معالجاً للخطأ مستخدماً التدرج في العلاج بما يهيئ تقويم الخطأ قال تعالى: " وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا "(٧٧).

فالأول "فَعِظُوهُنَّ" **والثاني** "وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ" **والثالث** "اضْرِبُوهُنَّ" **أي: ضرباً غير مبرح فتدرج العلاج فإن تحقق المقصود بواحد من تلك الأمور على الترتيب** "فلا تبغوا عليهن سبيلا" .

ومما أبرزته الآيات مما يصلح به شأن الأسرة حين حدوث شقاق يأتي المكون التركيبي ذاته مستخدمًا فعل الأمر وفاعله واو الجماعة، قال تعالى: "وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ "(٧٨).

وفي بيان عقوبة الزنا نجد رب العباد قد شدد في أمر هذه الفاحشة ستراً لعباده وحماية للأعراض حيث لا تقر إلا بعد التأكد بأربعة شهود يشهدون شهادة صريحة من غير تعريض ولا كناية "وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعٗا مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا

﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾(٧٩).

فالأمر في "فاستشهدوا – فأمسكوهن . فآذوهما – فأعرضوا.." ففي كل أمر فيها ما يسهم في إبراز توجيه سماوي لعلاج يسمو بالمجتمع ويقوم إفراده حتى لا يتكرر الخطأ، ولا نحصى ما ورد من الأمر في جميع آيات سورة النساء على هذا النمط التركيبي ولكننا نقدم أمثلة لبيان أهمية توجيه هذا الخطاب للجماعة في شتى ميادين الحياة ولعل أسماها ميدان القتال حيث الأمر بأخذ الحذر قال سبحانه موجهاً الأمر للمؤمنين "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا "(٨٠).

وتكشف الآيات عن كيفية سلوك تعامل الإنسان ليس فقط مع النساء بل مع أخيه الإنسان برد تحيته بأحسن منها أو ردها على أقل تقدير قال تعالى: "وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَا ۗ "(٨١).

كذلك وجه رب السماء الأمر لعباده بالتزام العدل "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ "(٨٢) وإذا كان سلوك الإنسان يترجم من خلال معاملاته فإن حياته تمتلئ بالذكر الذي يحقق طمأنينة القلب ومن أسمى درجاته إقامة الصلاة في وقتها "فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا "(٨٣).

ولا نهدف إلى تتبع كل أمر من الأوامر التي جاءت في سورة النساء على صيغة افعل مع واو الجماعة فلقد تعدد هذا النمط التركيبي في كثير من آياتها ليسمو بسلوك الإنسان ولاسيما في معاملاته مع الآخرين وبخاصة أسرته فالسورة الكريمة وجهت أوامر رب السماء بفعل الأمر المتصل به الفاعل " واو الجماعة " لتأكيد وجوب توجيه هذا الأمر للجميع خاصة حين يسبق هذا الأمر بالنداء الموجه للناس عامة "يأيها الناس ..." أو يختص الله به عباده المؤمنين " يأيها الذين آمنوا ..." ونؤكد الحاجة الماسة للاستجابة لما ورد في آيات سورة النساء من أوامر موجهة للجميع!!!

النمط الثاني:- "فعل الأمر وفاعله ضمير مستتر"

تعدد هذا النمط التركيبي في سورة النساء فالأمر فيه من الله إلى رسوله عليه السلام ولقد تباينت أغراض الأمر بحسب السياق من جانب كما تكرر نفس الأمر في آيات متعددة من جانب ثان، فالفعل (قل) وهو أمر من الله لرسوله عليه الصلاة والسلام تكرر خمس مرات وفي كل دلالة ترتبط بالسياق فحين يستفتى المؤمنون الرسول عليه السلام في بيان حكم شرعي يتولى الله سبحانه الرد على هذه الفتوى قال سبحانه: "وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ "[٨٤] أي فاعملوا على ما أفتاكم به في جميع شئون النساء ، وهذا أمر عام يشمل جميع ما شرع الله في حق النساء وحين يستفتى المؤمنون الرسول عليه السلام في الكلالة فتكون الفتوى من رب السماء باستخدام المكون التركيبي(قل) فعل الأمر وفاعله ضمير مستتر تقديره(أنت) "يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ "[٨٥]ويتتابع الأمر للرسول في كيفية تعامله مع المنافقين "أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا"[٨٦].

وتكون الإجابة عند من تصيبهم الحسنة أو السيئة باستخدام المكون التركيبي (قل) ليعلم الجميع أن الأمر كله من عند الله سبحانه "وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ "[٨٧].

ولأن متاع الدنيا قليل والسعادة الحقة تكمن في متاع الآخرة فجاء الأمر من الله لرسوله عليه السلام " قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ "[٨٨] ولقد أعد الله سبحانه عقاباً قاسياً للمنافقين وتعددت الآيات التي تأمر الرسول عليه السلام بكيفية التعامل معهم حيث أمره بالإعراض عنهم، قال تعالى: "... فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ "[٨٩] كما أمر الله رسوله بأن يبشر هؤلاء المنافقين بعذاب أليم قال تعالى: "بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ "[٩٠].

ولقد جاءت البشارة هنا مصرحاً بقيدها كذلك حسن استعمالها في المكروه على سبيل التهكم بهؤلاء المنافقين، أما البشارة إذا جاءت مطلقة فإنما عرضها في المحبوب"[٩١].

ولقد تحرك السكون بالكسر في (بشر) لعدم التقاء الساكنين على حين جاءت الأفعال (قل – أعرض – توكل) مبنية على السكون على مذهب من قال ببناء فعل الأمر.

كما طالب الله سبحانه رسوله بالقتال في سبيله فقال:"فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ "(٩٢).

على أن هذا النمط التركيبي لم يقتصر الفاعل المستتر فيه على الرسول صلى الله عليه وسلم من رَب العباد ، بل جاء على صيغة الدعاء على لسان المستضعفين الذين لا حيلة لهم إلا أن يدعوا ربهم لينقذهم فيكون لهم نصيرا قال تعالى : " وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرٗا "(٩٣).

ولا نهدف إلى حصر كل ما ورد في سورة النساء من الأمر الذي جاء فيه الفاعل ضميراً مستتر ، بل نؤكد تعدد هذه الأساليب التي جاء فيها الأمر موجهاً من رب السماء إلى رسوله صلى الله عليه وسلم فكان فعل الأمر وفاعله ضميراً مستترًا وما جاء على لسان المستضعفين وفاعله ضمير مستتر.

الصيغة الثانية :

لام الأمر المقترنة بالمضارع

قال القزويني في الإيضاح: "... ومنها الأمر والأظهر أن صيغته المقترنة باللام نحو ليحضرْ زيد"(٩٤) وفى الكتاب: "واللام التي في الأمر وذلك قولك ليفعل.. وليجزك الله خيرا(٩٥). وفي شرح الأشموني " أما اللام فتكون للأمر نحو "لينفق " (٩٦) وللدعاء نحو : "ليقض علينا ربك " (٩٧) وقد دخل تحت الطلب الأمر والنهي والدعاء (٩٨)

ولقد اختلف النحاة بشأن لام الأمر المقترنة بالمضارع من حيث اتصالها وانفصالها كما اختلفوا من حيث تركيبها أو بساطتها وأيضاً اختلفوا من حيث حركتها "فحركة اللام الطلبية الكسر وفتحها لغة ويجوز تسكينها بعد الواو والفاء وثم وتسكينها بعد الواو والفاء أكثر من تحريكها"(٩٩) .

وليس من هدف هذه الدراسة التعرض لهذه الاختلافات ، بل نبرز ورود المكون التركيبي للام الأمر المقترنة بالمضارع في كثير من آيات سورة النساء .

ودخول لام الأمر على المضارع إنما تفيد التوكيد على الأمر المطلوب ، ولقد ورد هذا النمط التركيبي في اثني عشر موضعاً من سورة النساء سبقت بالفاء في سبعة مواضع على حين سبقت بالواو في خمسة منها، وقد جاء في أية واحدة ستة أفعال ثلاثة سبقت بالفاء وثلاثة سبقت بالواو قال تعالى : "وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً "(١٠٠). فالأفعال " فلتقم – فليكونوا – فليصلوا " مسبوقة لام الأمر بالفاء وهى ساكنة، والأفعال "وليأخذوا ولتأت ثم تكرار وليأخذوا" قد سبقت بالواو ولام الأمر ساكنة. كذلك سبقت لام الأمر بالفاء في قوله تعالى "فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِ "(١٠١)

كما أمرت الآيات بالحرص على مال اليتيم من خلال المكون التركيبي ذاته لام الأمر المقترنة بالمضارع وقد سبقت بالفاء في " فليستعفف . فليأكل " قال تعالى : " وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ "(١٠٢).

أما الذين يخافون على ذريا تهم من بعدهم فقد جاء الأمر السماوي باستخدام ذات المكون التركيبي "فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً" قال تعالى: "وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا "(١٠٣).

وما تهدف إلى بيانه أن سورة النساء قد حوت كثيرًا من الآيات التي أبرزت مقاصد متعددة ارتبطت بالسياقات الواردة فيها وقد استخدمت المكون التركيبي للام الأمر المقترنة بالمضارع وقد سبقت بالفاء كما سبقت بالواو وجاءت في جميع هذه المواضع ساكنة ..

الصيغة الثالثة : اسم فعل الأمر

ورد اسم فعل الأمر في سورة النساء في قوله تعالى:"كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ "(١٠٤)، ولقد اختلف النحاة في أسماء الأفعال اختلافا كبيراً في ماهيتها من حيث تسميتها وإعرابها وبناؤها وأقسامها وتعديها وتنكيرها وتعريفها(١٠٥)، ولقد عقد سيبويه بابًا تحت عنوان " هذا باب من الفعل سمي الفعل فيه بأسماء لم تؤخذ من أمثلة الفعل الحادث وموضعها من الكلام الأمر والنهي ، فمنها ما يتعدي المأمور إلى مأمور به

،ومنها ما لا يتعدي المأمور، ومنها ما يتعدي المنهي إلي المنهي عنه ، ومنها مالا يتعدي المنهي .. وعدد منها كثيرا(١٠٦) .

ولا يهدف البحث إلى الخوض فيما ذكره النحاة حول أسماء الأفعال ، و إنما يتناول ماورد في سورة النساء حيث تقدم معمول اسم الفعل عليه ، ولقد اختلف البصريون والكوفيون في جواز التقديم وحجتهم في ذلك النقل والقياس "أما النقل فقد قال تعالي : "كتاب الله عليكم " والتقدير فيه "عليكم كتاب الله "أي الزموا كتاب الله فنصب كتاب الله بعليكم فدل ذلك علي جواز تقديمه .

أما القياس فقالوا : أجمعنا على أن هذه الألفاظ قامت مقام الفعل ألا ترى أنك إذا قلت" عليك زيداً ".. أي ألزم زيدًا .. ولو قلت زيداً ألزم .. فقد قدمت المفعول لكان جائزا كذلك مع ما قام مقامه .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : "الدليل علي أنه لايجوز تقديم أسماء الأفعال عليها أن هذه الألفاظ فرع علي الفعل في العمل، ،لأنها إذا عملت عمله لقيامها مقامه ، فينبغي أن لا تتصرف تصرفه إذ لو قلنا يجوز تقديم معمولاتها عليها لأدي ذلك إلي التسوية بين الفرع والأصل،وذلك لا يجوز لأن الفروع أبدًا تنحط عن درجات الأصول ". (١٠٧) ولقد أوّل البصريون نصب(كتاب الله) بأنه ليس منصوبا ب "عليكم " وإنما هو منصوب لأنه مصدر والعامل فيه فعل مقدر والتقدير : كتب كتابا الله عليكم . وإنما قدر هذا الفعل ولم يظهر لدلالة ماتقدم عليه

وذكر صاحب الدر المصون النصب على ثلاثة أوجه:

- الأول: أظهرها أنه منصوب على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة المقدمة قبله وهى "حرمت" ونصبه بفعل مقدر أي كتب الله ذلك عليكم كتاباً.
- والثاني : أنه منصوب على الإغراء "عليكم" والتقدير (عليكم كتاب الله أي ألزموه كقوله " عليكم أنفسكم " ناسباً هذا الرأي للكسائي ومن تابعه.
- والثالث: أنه منصوب بإضمار فعل أي الزموا كتاب الله (١٠٨). أما صاحب المحرر الوجيز فقال : وقرأ جمهور الناس"كتاب الله " وذلك نصب علي المصدر المؤكد"(١٠٩)

وإلي هذا ذهب أبو البقاء العكبري في الإملاء حيث جعل "كتاب الله " منصوبا علي المصدر بكتب محذوفة دل عليه قوله حرمت ن لان التحريم كتب ، وقيل انتصابه بفعل محذوف تقديره: الزموا كتاب الله عليكم إغراء وقال الكوفيون هو إغراء والمفعول مقدم ، وهذا عندنا غير جائز لأن عليكم وبابه عامل ضعيف ، فليس له في التقديم تصرف " (١١٠)

وهذه الألفاظ "أسماء الأفعال" تفيد معنى يحسن السكوت عليه، وما جاء منها منقولا من الجار والمجرور، ومن الظروف قدر لها النحاة أفعال أمر: نحو الزم وخذ وذكروا أنها لا تستعمل إلا متصلة بضمير المخاطب كما ورد في هذه الآية الكريمة وقد عدّ سيبويه هذه الكاف كاف المخاطب يقول:" واعلم أن رويدا تلحقها الكاف وهي من موضع افعل وذلك نحو قولك رويدك زيداً ورويدكم زيدا وهذه الكاف التي لحقت رويدا إنما لحقت لتنبيه المخاطب المخصوص لأن(رويد) تقع للواحد والجميع والذكر والأنثى ، فإنما ادخل الكاف حين خاف التباس من يعني بمن لا يعني "(١١١).

ونرى جواز تقديم معمول أسماء الأفعال طالما أنها تفيد معنى يحسن السكوت عليه دون تأويل لمحذوف لا يخدم المعنى .

الصيغة الرابعة: المصدر النائب عن فعل الأمر

يعرفه ابن هشام بقوله : "وهو الاسم الدال على الحدث الجاري على الفعل كالضرب والإكرام"(١١٢)، وعند سيبويه المصدر في موضع الفعل يقول: "فالمصدر أبدًا في موضع فعله"(١١٣).

وعند المبرد "المصادر كسائر الأسماء إلا أنها تدل على أفعالها.. وإنما يكون ذلك في الأمر والنهى خاصة لأنهما لا يكونان إلا بفعل"(١١٤) .

وقد ذهب النحاة إلي أن المصدر النائب عن فعل الأمر يعمل بشروط (١١٥).. وليس من هدف البحث استقراء تلك الشروط ، ولابيان أنواع هذه المصادر من حيث التعدي واللزوم وغير ذلك ،وإنما نهدف إلي إبراز ماورد في سورة النساء حيث جاء المصدر النائب عن فعل الأمر في قوله تعالي : " وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا " (١١٦)

فجاء النص القرآني "إحسانا " مصدرًا لفعل محذوف أي : أحسنوا بالوالدين إحسانا وقد دل ذكرالإحسان إلي الوالدين بعدالأمر بعبادة الله والنهي عن الإشراك به علي عظم حقهما"(١١٧) وفي المحرر الوجيز "إحسانا " نصب علي المصدر والعامل فعل مضمر تقديره "أحسنوا بالوالدين إحسانا (١١٨) والنصب علي أوجه عند أبي البقاء

- الأول : مصدر أي وقلنا أحسنوا بالوالدين إحسانا .
- الثاني : مفعول به والتقدير وقلنا استوصوا بالوالدين إحسانا .
- الثالث : مفعول به أي : وصيناهم بالوالدين لأجل الإحسان إليهم (١١٩).

المحور الخامس :

"ورود الإخبار بمعنى الأمر"

لم يقتصر دور الأمر في سورة النساء على صيغ الأمر التي قال بها النحاة، بل جاءت آيات خيرية تحمل معنى الأمر مما يدل على تعدد ما حوته السورة الكريمة من أساليب الأمر سواء بصيغه أو بمضمون آياته .

ولقد جاء الإخبار بمعنى الأمر حيث لم ترد صيغة من الصيغ التي تناولناها في الصفحات السابقة بل جاء الأمر من خلال التركيب والسياق .

ولندلل على ذلك نجد رب العباد يأمر عباده بأداء الأمانات كما يأمرهم الحكم بالعدل بين الناس قال تعالى: "إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ "(١٢٠).

فالمقصود بهذا الأمر بأداء الأمانات والحكم بالعدل بين الناس وجاء ذلك دون استخدام فعل أمر أو استخدام لام الأمر المقترنة بالمضارع ، أو اسم فعل الأمر ..

كما جاء النهى باستخدام المضارع المقرون بلا الناهية الجازمة كما جاء الإخبار بمعنى النهي في سورة النساء كما سنناقش ذلك في الفصل الثاني ...

الفصل الثاني
أنماط النهي في سورة النساء

المحور الأول : المضارع المقرون بلا الناهية الجازمة

ذكر سيبويه النهى مقترنا بالأمر في باب واحد في الكتاب "هذا باب الأمر والنهى..لأن الأمر والنهى إنما هما للفعل ولا يقعان إلا بالفعل مظهراً أو مضمراً"[١٢١].

والنهى في اللغة خلاف الأمر نهاد ينهاه نهيا فانتهى وتناهى كف وامتنع يقال نهاه عن كذا أي منعه عنه .فالنهي في اللغة المنع(١٢٢).

ولقد ورد النهي في كثير من آيات سورة النساء من خلال المكون التركيبي للمضارع المقرون بلا الناهية الجازمة .

قال المبرد: فأما حرف النهى فهو (لا) وهو يقع على فعلي الشاهد و الغائب نحو قولك: لا يقم .. لا تقومي .. فالفعل بعده مجزوم به(١٢٣).

وذكر السيوطي: "أن جزم فعل المتكلم بها قليل جداً"(١٢٤).

ولقد جاء النهى في سورة النساء موجها للجماعة كثيراً بما يحمل من دلالات متعددة ترتبط بالسياق، وتبرز ما يريده رب العزة من عباده عن امتناع المخاطبين عما نهاهم عنه فيكون النمط الأول للنهى في سورة النساء كالتالي:

النمط الأول
لا الناهية + المضارع المجزوم + الفاعل (واو الجماعة)

جاء هذا المكون التركيبي مبرزا الكثير من النواهي التي ترتبط بسياقات متعددة تبرز دلالات واضحة سواء في مجال العقيدة أو كيفية معالجة الخطأ أو في السلوك الاجتماعي لاسيما في معاملة الإنسان مع زوجه أو مع الآخرين أو في الحفاظ على أموال اليتامى والنهى عن تبديد ثرواتهم..

ففي مجال العقيدة قال سبحانه: "وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا "(١٢٥).كما أبرزت الآيات كيفية التعامل مع المنافقين قال سبحانه "وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ "(١٢٦).كما حذرت من القعود معهم وهم مستهزئون، قال تعالى: "وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ "(١٢٧). كذلك كررت الآيات التحذير للمؤمنين من اتخاذ الكافرين أولياء "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ "(١٢٨) .

أما أهل الكتاب فقد كشفت الآيات –من خلال المكون التركيبي لا الناهية والمضارع المجزوم والفاعل واو الجماعة– عن غلوهم في الدين قال سبحانه: "يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ.."(١٢٩).

وقال سبحانه عن اليهود مبرزاً ما نهاهم عنه "وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِي ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝ "(١٣٠).

كما حذرت الآيات النصارى من ادعائهم حيث طالبتهم بالانتهاء والكف عن هذا الادعاء قال سبحانه: "وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ "(١٣١).

وهكذا جاءت الأفعال المجزومة المسبوقة بلا الناهية حاملة الدلالات التي ترتبط بالعقيدة بعدم الشرك بالله ومبرزة ما ادعاه أهل الكتاب (النصارى) من جانب وغلو (اليهود) من جانب ثان.

أما في مجال السلوك الاجتماعي فقد عالج القرآن من خلال المكون التركيبي ذاته الكثير من السلوكيات سواء في مجال الأسرة أو اليتامى أو معاملة الآخرين.

ففي سبيل الحرص على التعامل السامي في البيت مع الزوجة حذرت الآيات من الارتباط بمن سبق وارتبط الأب بها قال تعالى:"وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم.."(١٣٢).

وإذا أراد الإنسان استبدال زوجه فلا يأخذ شيئاً مما آتاه لها قال سبحانه: "وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا"(١٣٣).

كما حذرت الآيات من الطغيان مادامت الزوجة مطيعة "فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا"(١٣٤).كذلك جاء التحذير من أن يترك الإنسان زوجه كالمعلقة ويميل كل الميل إلى الزوجة الأخرى قال سبحانه محذراً: "فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ "(١٣٥).

أما في مجال المحافظة على الحقوق فقد جاء التحذير بالنهى في أكل مال اليتيم "فَٱدْفَعُوٓا إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا "(١٣٦)، كما حذرت الآيات من التعدي على أموال الآخرين "لَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا "(١٣٧)، وكذلك جاء التحذير من إتيان السفهاء الأموال "وَلَا تُؤْتُوا ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ "(١٣٨)، كما جاء التحذير باستخدام نفس المكون التركيبي من أن يبدل الخبيث بالطيب "وَلَا تَتَبَدَّلُوا ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا "(١٣٩).

كما حذرت الآيات من اتباع الهوى "فَلَا تَتَّبِعُوا ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا "(١٤٠) أو أن يتمنى الإنسان ما فضل الله به غيره عليه"وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ "(١٤١) أما في المجال العسكري فقد حذرت الآيات من الوهن فيما حدث في"أحد"وما أصاب المسلمين لاسيما وقد كان المشركون مصابين يتألمون وقد هزموا من قبل في بدر قال سبحانه: "وَلَا تَهِنُوا فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ "(١٤٢).

وفى إشارة مضيئة أبرزت الآيات ما يجب على الإنسان أن يفعله تجاه مظاهر الأشياء أما جوهرها وما يختلج في القلوب فإن علمه عند الله سبحانه،لهذا حذرت الآيات من اتهام أحد لآخر بعدم الإيمان"وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا "(١٤٣).

وهكذا جاء المكون التركيبي لا الناهية والمضارع المجزوم والفاعل واو الجماعة مبرزًا ما أرادت آيات سورة النساء التحذير منه في مجال العقيدة أو في مجال السلوك

الاجتماعي للإنسان مع زوجه أو من يتولى مسئوليته حين وفاة أبيه أو في تعامله مع الآخرين، كما استخدم ذات المكون وسيلة لعلاج الخمر الذي نجح التدرج في إنهائه وكان من بين تلك الوسائل التحذير للمؤمنين بأن يقربوا الصلاة وهم سكارى قال سبحانه وتعالي: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ "(١٤٤) . فامتناع المؤمن عن الخمر فترات الصلوات الخمس يكون دافعا إلي الامتناع النهائي عنها حيث تكون النفوس مهيأة لذلك فجاء من بعد ذلك التحريم قاطعا "إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ "(١٤٥)

النمط الثاني

"لا الناهية +المضارع المجزوم +الفاعل ضمير مستتر"

في توجيه رب العباد سبحانه لرسوله عليه السلام يأتي هذا المكون التركيبي وقد جاء بعده الناسخ المجزوم " لاتكن" كما جاء في آية أخري المضارع المجزوم (لاتجادل)وجاء النهي مبرزا الكثير من الدلالات التي يجب النهي عنها سواء في الخصومة أ و المجادلة قال تعالي: "إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا "(١٤٦)، فقوله سبحانه "بما أراك الله" أي يكون حكمك بما عرفك الله به وأرشدك إليه....ولاتكن للخائنين أي لأجل الخائنين خصيما أي مخاصما عنهم مجادلا للمحقين بسببهم .وفيه دليل علي أنه لا يجوز لأحد أن يخاصم عن أحد إلا بعد أن يعلم أنه محق"(١٤٧).

وقال سبحانه موجها النهي إلي نبيه ﷺ: "وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا "(١٤٨) أي لا تحاجج عن الذين يخونون أنفسهم والمجادلة مأخوذة من الجدل. وقيل مأخوذة من الجدالة وهي وجه الأرض لأن كل واحد من الخصمين يريد أن يلقي صاحبه عليها وسمي ذلك خيانة لأنفسهم؛ لأن ضرر معصيتهم راجع إليهم (١٤٩) واستخدام صيغة المبالغة "خوانا"أثيما"فيه دليل علي كثرة الخيانة والإثم " وهكذا جاء المكون التركيبي مبرزا ما وجه من الله لنبيه نهيا من خلال "لا الناهية فالمضارع المجزوم "حيث إنها تؤثر في الحركة الاعرابيه "الضم" فتتحول إلي سكون في الصحيح وهي حركه اقتضتها (لا الناهية)الجازمة"لا تكن ..لا تجادل" فجازم الفعل

نوعان :جازم لفعل واحد منها (لا) الطلبية نهيا(١٥٠)، وهناك ما يجزم فعلين فيصبح أسلوب الشرط مكونًا من الأداة الجازمة لفعلين وفعل الشرط وجوابه نحو قوله تعالى: "إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ" (١٥١)

المحور الثاني: "ورود الإخبار بمعني النهي"

لم يقتصر النهي في سورة النساء علي تلك الصيغة التي قال بها النحاة،بل جاءت آيات خبرية تحمل معني النهي مما يدل علي تعدد ما حوته السورة الكريمة من أساليب النهي سواء ما اتفق مع ما قال به النحاة من اقتران المضارع بلا الناهية الجازمة أو من خلال السياق وما يحمله من مضمون .

ومن ذلك ماورد في نهي الله سبحانه عباده عن زواج المحرمات بالنسب والمحرمات بالرضاع والمحرمات بالصهر والمحرمات بالجمع في قوله تعالي : " حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا "(١٥٢) ففي الآية السابقة نهي من الله سبحانه وتعالي لعباده عن زواج المحرمات بالنسب أو بالرضاع أو بالمصاهرة أو بالجمع بين الأختين وقد جاء الإخبار بمعني النهي حيث لم ترد صيغة النهي بالمضارع المقترن بلا الناهية الجازمة والمسلم مطالب بأن ينتهي عما نهي الله عنه سواء بصيغة المضارع المقرون بلا الناهية " وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا "(١٥٣) أو بما ورد إخبارًا لكنه بمعني النهي عما حرم من النساء .

الخاتمة

وهكذا جاءت هذه الدراسة متتبعة للأنماط التركيبية للأمر والنهى في سورة النساء حيث تم التوصل إلى نتائج منها :

أولا : تحظى سورة النساء بالأنماط التركيبية للطلب الأمر والنهى والنداء والدعاء والاستفهام والتمني والترجي والدعاء والتحضيض.

ثانياً : تعددت أنماط صيغ الأمر في آيات سورة النساء فجاء " فعل الأمر وفاعله واو الجماعة " كما جاء فعل الأمر وفاعله ضمير مستتر فكان الأمر موجها للناس كافة حينًا وللمؤمنين في كثير من الأحايين كذلك اختص الله رسوله بأوامر ارتبطت بسياقات محددة .

ثالثاً: من أنماط الأمر جاء المضارع مقترناً بلام الأمر وارتبطت الآيات بتوجيهات متعددة سواء في مجال الأسرة أو الحياة العامة في تعامل الإنسان مع الآخرين أو في المجال العسكري ، وجاءت لام الأمر في جميع الآيات ساكنة إذ سبقت بالواو أو بالفاء فقد وقعت في جواب الشرط فكانت فاء الجزاء على نحو قوله سبحانه " ومن كان غنيا فليستعفف" حيث وجوب اقتران جواب الشرط بالفاء .

رابعاً : جاء اسم فعل الأمر في سورة النساء عاملا حيث تقدم معموله عليه في قوله سبحانه " كتاب الله عليكم " كذلك جاء المصدر النائب عن فعل الأمر في قوله جل شأنه :" وبالوالدين إحسانا " .

خامساً : كما أن الأمر لم يقتصر على ما قال به النحاة من صيغ للأمر بل ورد الخبر بمعنى الأمر واستخدم النص القرآني الفعل " يأمر " إذ وجه الأمر للمؤمنين كما أمرهم بأن يحكموا بالعدل وبالالتزام بأداء الأمانات إلى أهلها " إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل "

سادساً : جاء النهى على صيغة المضارع المقرون بلا الناهية الجازمة وقد تعددت الأنماط التركيبية على حسب دلالات معينة وجه فيها الله سبحانه نواهيه لعباده من خلال المضارع المجزوم وفاعله واو الجماعة حيث توجيه النهى للناس كافة أو للمؤمنين من البشر أو لأهل الكتاب كما جاء المضارع المجزوم وفاعله ضمير مستتر فقد توجه النهى من الله سبحانه إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ،كذلك ورد الخبر بمعني النهي علي أن هناك

بعض المقترحات منها :

أولاً : تتبع دراسة جميع أنواع الطلب في سورة النساء حيث يحتاج كل نوع الى دراسة مستقلة تتخذ من المنهج الإحصائي وسيلة للكشف عما يمثله الكم وما يمكن أن يمثله من دلالات ترتبط بالكيف.

ثانياً : تكون دراسة سورة النساء مقدمه لتتبع جميع سور القرآن الكريم للوقوف عند الأنماط التركيبية للنص القرآني المعجز الذي "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه" ففي ذلك الخير العميم حيث يقف العباد على ما أراده منهم خالقهم أمراً ونهياً وعرضاً وتحضيضًا... وما تحمله آيات أخرى من دلالات للتمني أو الترجي من العباد لخالقهم.

والله أسأله التوفيق فإن تحقق فذاك ما أبغى وإن كانت الأخرى فحسبي أجر المجتهد والله ربى عليه توكلت واليه أنيب ، وآخر دعوانا " أن الحمد الله رب العالمين "

obeikandl.com

هوامش وتعليقات

(١) الإيضاح في البلاغة .الخطيب القزوينى صـــ٧٨

(٢) الكتاب لسيبويه ٩٨/١

(٣) السابق ١٣٧/١

(٤) السابق١٤٢/١

(٥) السابق ١٨٢/٢

(٦) اللغة العربية معناها ومبناها د.تمام حسان صـــ١٨

(٧) سورة النساء الآية(١٤٤)

(٨) الكتاب . ٩٨/١، ٩٩

(٩) السابق ١٠١/١

(١٠) سورة النساء الآية (١١)

(١١) سورة النساء الآية (٨٢)

(١٢) سورة النساء الآية (٩٧)

(١٣) سورة النساء الآية (٤٤)

(١٤) سورة النساء الآية (٢٠)

(١٥) سورة النساء الآية (٨٧)

(١٦) سورة النساء الآية (١٢٢)

(١٧) سورة النساء الآية (١٢٥)

(١٨) سورة النساء الآية (١٠٩)

(١٩) سورة النساء الآية (٤١)

(٢٠) الدر المصون ٦٨٣/٣

(٢١) سورة النساء الآية (٥)

(٢٢) المحرر الوجيز ٩٨/٤

(٢٣) سورة النساء الآية (٦٢)

(٢٤) المحرر الوجيز ١١٨/٤

obeikandl.com

(٢٥) سورة النساء الآية (٢١)
(٢٦) الأشباه والنظائر ١٢٤/٢
(٢٧) سورة النساء الآية الأولى
(٢٨) سورة النساء الآية (١٧٠)
(٢٩) سورة النساء الآية (١٧٤)
(٣٠) سورة النساء الآية (١٣٣)
(٣١) المحرر الوجيز ٢٥٤/٤
(٣٢) سورة النساء الآية (١٩)
(٣٣) سورة النساء الآية (٢٩)
(٣٤) سورة النساء الآية (٤٣)
(٣٥) سورة النساء الآية (١٧١)
(٣٦) سورة النساء الآية (٤٧)
(٣٧) سورة النساء الآية (٧٥)
(٣٨) سورة النساء الآية (٧٨)
(٣٩) سورة النساء الآية (٣٩)
(٤٠) الدر المصون ٢٦/٤
(٤١) سورة النساء الآية (١٤٧)
(٤٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٢٢
(٤٣) سورة النساء الآية (٧٨)
(٤٤) سورة النساء الآية (٧٧)
(٤٥) سورة النساء الآية (٩٧)
(٤٦) الكتاب ١٦٤/٤
(٤٧) الأشباه والنظائر ١٩٨/٢
(٤٨) سورة النساء الآية (٧٥)
(٤٩) يرجع إلي الكتاب ٢٣٣/٤

obeikandl.com

(٥٠) سورة النساء الآية (٧٣)

(٥١) من ذلك قوله تعالي في سورة النبأ"يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا " (الآية ٤٠)

(٥٢) الكتاب٣/٣٦

(٥٣) سورة النساء الآية (٤٢)

(٥٤) سورة النساء الآية (٧٨)

(٥٥) شرح المفصل ٩/١١

(٥٦) يرجع إلي المغني اللبيب ١/٣٠٤

(٥٧) سورة النساء الآية (٩٩)

(٥٨) سورة النساء الآية (١٩)

(٥٩) يرجع إلي الكتاب ٣/١١٥ وشرح المفصل ٣/١٤٤

(٦٠) سورة النساء الآية (٧٧)

(٦١) الدر المصون ٤/٤٢

(٦٢) سورة النساء الآية (٨٤)

(٦٣) شرح المفصل ٧/٥٨

(٦٤) السابق ٧/٦١

(٦٥) همع الهوامع ١/٢٦

(٦٦) الأشباه والنظائر ٣/٣٠٤

(٦٧) شرح شذور الذهب ٢٢

(٦٨) سورة مريم الآية (٢٦)

(٦٩) سورة النساء الآيات الست الأولي

(٧٠) سورة النساء الآية (٢)

(٧١) سورة النساء الآية (٤)

(٧٢) سورة النساء الآية (٣)

(٧٣) سورة النساء الآية (٤٣)

obeikandl.com

(٧٤) سورة النساء الآية (٥٩)
(٧٥) سورة النساء الآية (١٣٦)
(٧٦) سورة النساء الآية (١٩)
(٧٧) سورة النساء الآية (٣٤)
(٧٨) سورة النساء الآية (٣٥)
(٧٩) سورة النساء الآية(١٥، ١٦)
(٨٠) سورة النساء الآية (٧١)
(٨١) سورة النساء الآية (٨٦)
(٨٢) سورة النساء الآية (١٣٥)
(٨٣) سورة النساء الآية (١٠٣)
(٨٤) سورة النساء الآية (١٢٧)
(٨٥) سورة النساء الآية (١٧٦)
(٨٦) سورة النساء الآية (٦٣)
(٨٧) سورة النساء الآية (٧٨)
(٨٨) سورة النساء الآية (٧٧)
(٨٩) سورة النساء الآية (٨١)
(٩٠) سورة النساء الآية (١٣٨)
(٩١) المحرر الوجيز ٢٦٢/٤
(٩٢) سورة النساء الآية (٨٤)
(٩٣) سورة النساء الآية (٧٥)
(٩٤) الإيضاح في علوم البلاغة ٩٨
(٩٥) الكتاب ٨/٣
(٩٦) سورة الطلاق الآية (٧)
(٩٧) سورة الزخرف آية (٧٧)
(٩٨) شرح الأشموني ٧/٤

obeikandl.com

(٩٩) السابق ١١/٤

(١٠٠) سورة النساء الآية (١٠٢)

(١٠١) سورة النساء الآية (٧٤)

(١٠٢) سورة النساء الآية (٦)

(١٠٣) سورة النساء الآية (٩)

(١٠٤) سورة النساء الآية (٢٤)

(١٠٥) المسألة السابعة والعشرون في الإنصاف مسائل الخلاف ٣٢٨/١

(١٠٦) الكتاب ١/ ٢٤١ــ٢٥٣

(١٠٧)يرجع إلي : شرح ابن عقيل ٣٠٢/٣،أوضح المسالك ٨٥/٤،قطرالندي ٢٥٨

(١٠٨) الدر المصون ٦٤٨/٣، ٦٤٩

(١٠٩) المحرر الوجيز ٧/٤

(١١٠) إملاء ما من به الرحمن ١٧٥/١،

(١١١) الكتاب ٢٤٤/١

(١١٢) قطر الندي ٢٦٠

(١١٣) الكتاب ٢٥٢/١

(١١٤) المقتضب ١٩٢/٢

(١١٥) يرجع إلي قطر الندي ٢٠٦ وما بعدها

(١١٦) سورة النساء الآية (٣٦)

(١١٧) فتح القدير ٤٦٤/١

(١١٨) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩، ٥٠

(١١٩) إملاء ما من به الرحمن ١٤٧

(١٢٠) سورة النساء الآية (٥٨)

(١٢١) الكتاب ١٣٧/١

(١٢٢) اللسان مادة (نهي)

(١٢٣) المقتضب ١٣٤/٢

(١٢٤) همع الهوامع ٤/٣١٠
(١٢٥) سورة النساء الآية (٣٦)
(١٢٦) سورة النساء الآية (٨٩)
(١٢٧) سورة النساء الآية (١٤٠)
(١٢٨) سورة النساء الآية (١٤٤)
(١٢٩) سورة النساء الآية (١٧١)
(١٣٠) سورة النساء الآية (١٥٤)
(١٣١) سورة النساء الآية (١٧١)
(١٣٢) سورة النساء الآية(٢٢)
(١٣٣) سورة النساء الآية (٢٠)
(١٣٤) سورة النساء الآية (٣٤)
(١٣٥) سورة النساء الآية (١٢٩)
(١٣٦) سورة النساء الآية (٦)
(١٣٧) سورة النساء الآية (٢٩)
(١٣٨) سورة النساء الآية (٥)
(١٣٩) سورة النساء الآية (٢)
(١٤٠) سورة النساء الآية (١٣٥)
(١٤١) سورة النساء الآية (٣٢)
(١٤٢) سورة النساء الآية (١٠٤)
(١٤٣) سورة النساء الآية (٩٤)
(١٤٤) سورة النساء الآية (٤٣)
(١٤٥) سورة المائدة الآية (٩٠)
(١٤٦) سورة النساء الآية (١٠٥)
(١٤٧) فتح القدير ١/٥١١
(١٤٨) سورة النساء الآية (١٠٧)

obeikandl.com

(١٤٩) فتح القدير ٥١١

(١٥٠) أوضح المسالك ١٩٨/٤

(١٥١) سورة النساء الآية (١٣٣)

(١٥٢) سورة النساء الآية (٢٣)

(١٥٣) سورة النساء الآية (٣٦)

أهم المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، المكتبة الثقافية ، بيروت ١٩٧٣م

٢- أساليب الاستفهام في القرآن الكريم ، عبد العليم فوده ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، القاهرة ١٩٥٣م

٣- الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، عبد السلام هارون مكتبة الخانجي ، مصر، الطبعة الثانية ١٩٧٩م

٤- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني ، ت – محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٨١م

٥- الأشباه والنظائر ، جلال الدين السيوطي ،راجعه وقدم له د. فايز ترحيني دار الكتاب العربي _ بيروت . لبنان ١٤٠٤ه .

٦- إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محي الدين الدرويش ، دار ابن كثير للطباعة والنشر ، دمشق ، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ

٧- إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ، ت – إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب اللبناني الطبعة الثانية ١٩٨٢م

٨- إعراب القرآن لأبى جعفر بن محمد النحاس ، ت – زهير غازي زاهر ، عالم الكتب ، الطبعة الثانية ١٩٨٥م

٩- إملاء ما مَنَّ به الرحمن ، أبو البقاء العكبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٩ه.

١٠- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين . للأمام كمال الدين أبي البركات الأنباري النحوي . المكتبة العصرية بيروت . ١٩٨٧م
١١- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري ، ت – محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الخامسة ١٩٦٧م
١٢- الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزوينى ، دار الجيل ، بيروت
١٣- تركيب الجملة الإنشائية في غريب الحديث . د. عاطف فضل. عالم الكتب الحديث.الأردن ٢٠٠٤م .
١٤- تفسير أبى السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، للإمام أبى السعود محمد بن محمد العمادي ت – عبد القادر أحمد عطا ، دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٨١م
١٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، دار التقوى للنشر والتوزيع ، مصر ، ٢٠٠٤م
١٦- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي.تحقيق د. أحمد محمد الخراط . دار القلم . دمشق ١٩٨٧م .
١٧- شرح ابن عقيل على ألفيةا بن مالك . ت – محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ٢٠٠٥م
١٨- شرح الأشموني لألفية ابن مالك . تحقيق د.عبد الحميد السيد . المكتبة الأزهرية للتراث . مصر .
١٩- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لأبي محمد عبد الله بن جمال الدين بن هشام حققه ح. الفاخوري. دار الجيل – بيروت ١٩٧٨م.
٢٠- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام . حققه محمد محيى الدين عبد الحميد. المكتبة الفيصلية . مكة المكرمة . ١٩٣٦م .
٢١- شرح كافية ابن الحاجب الشيخ رضي الدين الاستراباذى ، ت. إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٢٢- الظواهر التركيبية في مسرح شوقي. دراسة نحوية د. أسامة عطية عثمان. المعرفة ٢٠٠٧م.
٢٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٨٣م.
٢٤- الكتاب لسيبويه ، ت – عبد السلام محمد هارون ، الخانجى ، مصر ١٩٨٣م
٢٥- الكشاف للزمخشرى ، ت – محمد الصادق قمحاوى ، مطبعة البابى الحلبى ١٩٧٢م
٢٦- لسان العرب لابن منظور، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٠م
٢٧- اللغة العربية معناها ومبناها، د/ تمام حسان، الهيئة المصرية العامة الطبعة الثالثة ١٩٨٥م .
٢٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي تحقيق وتعليق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، والسيد عبد العال السيد إبراهيم ، ومحمد الشافعي . الدوحة ١٤٠٢ه .
٢٩- مغنى اللبيب لابن هشام، ت. محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية بيروت ٢٠٠٥م
٣٠- المقتضب لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد ، ت – محمد عبد الخالق عضيمة . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ١٣٩٩هـ.
٣١- همع الهوامع في جمع الجوامع . جلال الدين السيوطي. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ،و د. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٧٥م

من الرسائل الجامعية :

(١) الجملة الطلبية عند سيبويه خديجة محمد سرورالصبان كلية الآداب ،جامعة القاهرة ١٩٨٤م .
(٢) الجملة الطلبية في شعر البارودي ،محمود عبد العزيز ،كلية الاداب ،جامعة القاهرة ١٩٨٥م .